

السيرة الذاتية وأثرها في تكوين الرواية الإبداعية، الشاعر أمل دنقل نموذجاً

Amal Dunqul: Lights on what is between the biography and the journey of making creative poetry

الدكتور محمد راضي محمد الباز الشيخ

أستاذ مساعد البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

بكلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

الدكتور محمد شوقي بن أرشد

عميد كلية اللغة العربية بجامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

الملخص

تسعى هذه الدراسة تبين أثر النشأة والمواقف والأحداث التي يتعرض لها المبدع، وعادات وتقاليده مجتمعه، وما يؤمن به من أفكار على رؤيته للعالم من حوله وعلى تصوره للأشياء، وأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على خيالات المبدع، ومن ثم على تكوين صورته الشعرية، والشاعر أمل دنقل من شعراء الجيل الثاني للشعر الحر في مصر والعالم العربي، فتهدف هذه الدراسة تطبيق هذه الظاهرة على قصيدته الشعرية، وقد انتهجت في البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقتضي وصف الظاهرة وصفاً دقيقاً ثم تحليلها تحليلاً فنياً يبين أثرها في رؤية الشاعر، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج منها: السيرة الذاتية والنشأة لها أثر كبير وانعكاس عظيم على رؤية الشاعر، لأنها هي التي تكون ذهنيته، معرفة مسيرة الشاعر وما تعرض له من أحداث يفسر لنا الكثير من المعاني الشعرية والصور الفنية التي يحتويها شعر الشاعر، لا بد من دراسة تاريخ الشاعر ومعرفة تركيبته النفسية حتى يتسنى لنا تفسير الكثير من الرؤى الشعرية له، والشاعر المصري أمل دنقل حفلت سيرته بالأحداث والمواقف التي أثرت في رؤيته الشعرية ومسيرته الإبداعية التي سيتناولها البحث بالدراسة.

الكلمات المفتاحية: السيرة، الرؤية الشعرية، الصورة الفنية، الأثر الدلالي

Abstract

This is research entitled: "Amal Dunqul. Lights on what is between the biography and the journey," in which I try to show the impact of the upbringing, attitudes and events to which the creator is exposed, the customs and traditions of his society, and the ideas he believes in, on his vision of the world around him and on his perception of things and have a direct impact On the imaginations of the creator and then on the formation of his poetic image, and the poet Amal Dunqul is one of the second generation poets of free poetry in Egypt and the Arab world, we try to apply this phenomenon to his poetic poem, and the research came in an introduction, two chapters, a conclusion and a list of sources and references. I explained in it the nature of the topic and its importance. As for the first topic, it came with the title: The emergence of Amal Dunqul and his creative path. As for the second topic, it came with the title: The characteristic of sadness and his awareness of death and their impact on his creative vision, then the conclusion with the most important results, and finally a list of sources and references.

Keywords: Biography, poetic vision, artistic image, semantic effect

مقدمة

هذا بحث بعنوان "السيرة الذاتية وأثرها في تكوين الرؤية الإبداعية. الشاعر أمل دنقل نموذجاً " نسلط فيه الضوء على سيرة أمل دنقل وما تخللها من أحداث كان لها تأثير مباشر وانعكاس على صياغة رؤيته الشعرية، لأن هذه الأحداث بما فيها من أفراس وأتراس هي التي شكلت ذهنيته، وتصوره للأشياء من حوله، ومن ثم انعكس هذا كله في شعره، سواء كان من حيث المضمون أو الصور الشعرية والخيال، ورؤيته للعالم من حوله، لأنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك دور هذه الأشياء وأثرها البالغ في مسيرته الإبداعية إيجاباً أم سلباً، وقد أتى البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فأوضحت فيها ماهية الموضوع وأهميته، وأما المبحث الأول فقد أتى بعنوان: نشأة أمل دنقل ومسيرته الإبداعية، وأما المبحث الثاني فقد أتى بعنوان: "سمة الحزن وإدراكه للموت وأثرهما في رؤيته الإبداعية، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أخيراً قائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد

يعد الشاعر المبدع "أمل دنقل" من شعراء الجيل الثاني للشعر الحر بعد الجيل الأول الذي تمثل في نازك الملائكة ويدر شاعر السياب وعبد الوهاب البياتي من العراق ، وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي من مصر ، ونزار قباني من سوريا ، واستطاع "أمل دنقل" بما حباه الله من ملكات وقدرات شعرية أن يحفر لنفسه مكانا وسط هذه القامات الشعرية في عمر قصير ، إذ مات وهو ما يزال في بداية العقد الخامس في الثالثة والأربعين من عمره ، بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس بقصائده التي ما زالت محفورة في ذاكرة جيله والجيل الذي يليه ، مازال صداها يرن في آذاننا حتى اليوم ، مخلدة ذكرى هذا الشاعر المبدع ، قصائد من مثل ، "لا تصالح" ، و "أغنية الكعكة الحجرية" ، و "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" وغيرها من القصائد خالدة الذكر ، هذه القصائد التي تعد دليلا دامغا على موهبته الشعرية وتمكنه من الأدوات الفنية وناصية اللغة ، التي كانت طيبة سلسلة على لسانه معبرة عما يختلج داخل نفسه المرهفة المفعمة بالأحاسيس والمشاعر الفياضة تجاه قضايا أمته الكبرى والمصيرية ، وقضايا الفقراء والمهمشين اجتماعيا ، الذين يعيشون على هامش الحياة ، لا يهتم بهم أحد ، كان صوتا صادقا لكل هذه القضايا ، وأرى أن هذه الموهبة الفذة اشترك في تكوينها مجموعة من العوامل المهمة منها ما يعود إلى الفطرة والملكة التي منحها الله إياه " ويزيد في الخلق ما يشاء " ، ومنها ما يعود إلى النشأة والبيئة التي عاش فيها الشاعر ، فأثرت تأثيرا مباشرا في صقل هذه الموهبة وامتدادها بروافد لا متناهية من التجارب والخيال الخصب المكتنز بعدد لا نهائي من التجارب الحياتية التي إنعكست إنعكاسا مباشرا على رؤيته الشعرية ، وهذا البحث القصير أتى ليلقي الضوء على سيرة "أمل دنقل" وتأثيرها على مسيرته الشعرية .

المبحث الأول: نشأة أمل دنقل ومسيرته الإبداعية

هو محمد أمل فهميم أبو القسام محارب دنقل. ولد أمل دنقل سنة ألف وتسعمائة وأربعين من الميلاذ (1940)، بقرية القلعة، مركز مدينة قفط، على مسافة قريبة من مدينة قنا في أقصى صعيد مصر. واصل أمل دنقل تعليمه حتى حصل على الثانوية العامة القسم الأدبي، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة، لكنه تركها في السنة الثانية ولم يكمل تعليمه الجامعي. ثم التحق بعد ذلك بالوظيفة، وتنقل بين وظيفة وأخرى ولم يستقر في عمل معين، ثم تفرغ بعد ذلك للشعر، وقد تزوج سنة ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين (1978) من الصحفية "عبلة الرويني". ولازمه

مرض السرطان لأكثر من ثلاث سنوات، حتى أسلم الروح إلى بارئها في مايو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين (1983)¹.

وقد صدرت له ست مجموعات شعرية هي على الترتيب:

- 1- الديوان الأول: "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، بيروت سنة 1969 م.
- 2- الديوان الثاني: "تعليق على ما حدث"، بيروت سنة 1971 م.
- 3- الديوان الثالث: "مقتل القمر"، بيروت سنة 1974 م.
- 4- الديوان الرابع: "العهد الآتي"، بيروت 1975 م.
- 5- الديوان الخامس: "أقوال جديدة عن حرب البسوس"، القاهرة سنة 1983 م.
- 6- الديوان السادس: "أوراق الغرفة رقم 8"، القاهرة 1983 م.

إن الحديث عن حياة المبدع وسيرته الذاتية في الدراسات النقدية هو حديث مهم يسهم في بلورة المعنى وفهم النص فهماً أكثر عمقاً؛ لذا كان من الضروري إلقاء الضوء على بعض أحداث حياة الشاعر ومواقفه لأن "الإمام بحياة الشاعر والحوادث التي عاشها والظروف التي كتب فيها عمله يمكن أن تعد إحالات وإشارات خارجية مهمة. ذلك أن شهادة المؤلف وسيرته بالنسبة للناقد قرينة فعالة قد ينزلق إلى الضد إذا أغفلها"².

كان والد "أمل دنقل" من خريجي الأزهر الشريف، وقد أسماه والده بهذا الاسم "أمل"؛ لأنه ولد في نفس السنة التي حصل فيها والده على إجازة العالمية تيمناً بالنجاح الذي حققه.

وكان والده يكتب الشعر العمودي، وكان بيته أشبه بالصالونات الأدبية، فلم يكن مدرساً للغة العربية وحسب، ولكنه كان أديباً شاعراً فقيهاً مثقفاً، جمع من صنوف الكتب الكثير في شتى مجالات المعرفة؛ لذا تفتحت عينا "أمل دنقل" على أرفف المكتبة المزدهمة بألوان الكتب، وتأمل في طفولته الأولى أباه وهو يقرأ حيناً، ويكتب الشعر حيناً آخر.

كان والده رجلاً أزهرياً صعيدياً محافظاً فرض العزلة على طفولة أمل، وعامله معاملة رجل صغير ليس من حقه اللعب والنزول إلى الشارع والتعامل مع الأطفال، حتى نشأ أمل طفلاً انطوائياً خجولاً³.

فقد أخته وهو في سن السابعة من عمره، ثم فقد أباه وهو في العاشرة، ثم ظلمه أعمامه وهم أقرب الناس إليه في ذلك الوقت، حيث استولوا على إرثه أمام عينيه، علّمه اليتيم والألم ومرارة الظلم أن يصبح رجلاً صغيراً منذ طفولته، علّمه حصار الظالمين، وظلم الأقربين الانتباه الشديد للناس إلى حد الفزع، وعلّمه أن يكره كل الظلم وكل القبح وكل الزيف، وعلّمه كل ذلك أن يهب أحلامه للفقراء، وأن يخاصم الظلم، ويخاصم العدل الذي لم يتحقق⁴.

عُرف عنه التزامه بتماسك أسرته، واحترامه لقيمتها ومبادئها، وورث عن أمه الاعتداد بذاته، وورث عن أبيه شخصية قوية ومنظمة.

كان في صباه الباكر شديد التدين، لا يترك فرضاً، يلقي خطبة الجمعة في المساجد، ويحمل عهداً على منهج الشيخ "إبراهيم الدسوقي"، ثم ترك النشاط الديني في شبابه معجباً بالماركسية والوجودية⁵.

صعيدى حتى النخاع، شديد الغيرة في كبرياء، شديد النقاء، شديد العناد، شديد التأثر⁶.

ذكرت بعض تفاصيل نشأته لكي أقف منها على مجموعة من النقاط المهمة التي أثرت فيما بعد على تكوينه الفكري والثقافي، ونظرتة للحياة، ومن ثم على رؤيته الشعرية، منها على سبيل المثال:

1- نبرة الحزن الملازمة له التي مردها - فيما أرى - إلى اليتيم، فقد فقد أباه وهو في سن العاشرة من عمره، وهو أحوج ما يكون لأبيه، وقبل ذلك فقد أخته وهو في سن السابعة من عمره، وهذا جعله في مواجهة الموت وفلسفته، وأثره النفسي الذي يفجر الطاقات، ويثير العواطف الكامنة والوجدان، ثم الإحساس بالظلم والقهر الذي مرده إلى ضياع إرثه حيث استولى عليه أقرب الناس إليه بعد أبيه وهم أعمامه أمام عينيه، وهذا جعله يتعامل بتوجس وحذر شديدين مع كل الناس مهما كانت صلته بهم "وفرق كبير بين أن تعيش المسأة وأن تدركها، وهو نفس الفرق بين أن تكون حزينا وأن تدرك معنى حزنك، فبين الرؤية الغائمة والإدراك الناصع يتراوح الوجود بين ظاهر مائل للعيان ومدرك كلي"⁷، وأمل دنقل عاش الحزن بنفسه جرّبه؛ لذا ظهر في شعره صادقاً ومؤثراً في الوقت نفسه.

2- التناقض الواضح في تركيبة أمل دنقل الذهنية، ومن ثم الحيرة والاضطراب الذي يسيطر على مثل هذا النموذج من المبدعين، لأن هذه الشخصية بهذه التركيبة، وهذا المكون الثقافي والفكري، تقع فريسةً بين المطرقة والسندان . كما يقال في المثل . بين النشأة الدينية المحافظة، فأبوه عالم أزهرى يقيم الشعائر، وأمّه ربة بيت مثل ملايين الأمهات في ريف مصر وصعيدها المؤمنات إيماناً فطرياً، وكان مقيماً للشعائر أيضاً كأبيه، وخطيباً للجمع، رُبي في أسرة محافظة على القيم والأخلاق، وبين إعجابه بل اعتناقه للأفكار الماركسية التي أغرت الكثيرين من أبناء هذا الجيل الذين فتنوا بها وظنوا أنّ فيها النجاة والخلص، يظل حائراً بين الفكرين يتنازعانه ويتجادبانه طول الوقت، فتبدو هذه الشخصيات حائرة قلقة غير مستقرة لأنه . فيما أظن . غير مؤمن بهذه الأفكار إيماناً كاملاً، لأنّ الحس الإيماني الذي غرس فيه صغيراً يلفظ هذه الأفكار، وواقعه المعيش البئيس المتمثل في تحلف المسلمين، وتُعدهم عن دينهم بسبب حقبة الاستعمار التي تركت المجتمعات الإسلامية . عن قصد . مجتمعات مشوهة لا هي غربية ولا هي شرقية تجعله يبحث عن خلاص، ولكن المفارقة تظهر عند التطبيق والحك العملي، حيث نجده يرفض الانحلال والإباحية، وكل سلوك ينافي القيم والأخلاق التي تربي عليها وآمن بها، يدلنا على ذلك سيرته ومواقف حياته ومن بين هذه المواقف والأحداث موقف تذكره زوجته السيدة عبلة الرويني وهو على سرير المستشفى في طريقه لإجراء أول جراحة لاستئصال أول ورم سرطاني أصابه، سمعته يردد الشهادتين، فتقول له زوجته: "أمل لقد ضبطك متلبساً بالإيمان ابتسم في هدوء مردداً . في همس . خائف"⁸، وكان غيوراً على زوجته محافظاً على تماسك أسرته إيماناً بها لذا تزوج وكان حريصاً على تكوين أسرة، وذكرت زوجته أيضاً موضحةً هذا التناقض الذي تميزت به شخصيته فتقول: "تأخذ محاولة العثور على مدخل حقيقي لشخصية أمل شكل الصعوبة حين يصطدم فيه بعالم متناقض تماماً يعكس ثنائية حادة كل من طرفيها يدمر الآخر، ويشتت الكثير من أشكائها، إنه الشيء ونقيضه في لحظة نفسية واحدة يصعب الإمساك بها، والعثور عليه فيها، فوضوي يحكمه المنطق، بسيط في تركيبة شديدة، صريح وخفي في آن واحد، انفعالي متطرف في جرأة ووضوح، وكنوم لا تدرك ما بداخله أبدا"⁹.

ثم تستطرد فتقول: "يكبر لون الخمر في القنينة، لكنه يدمنها استشفاء، قلق لا يحمل يقينا ... تاريخ معتقداته حافل بالعصيان لكنه غير ملحد ... عاشق للحياة مقاوم عنيد يحلم بالمستقبل والغد الأجل مع قدر كبير من العدمية يزدري فيها كل شيء، ويدمر كل شيء، ويؤمن بحتمية موته، التردد والحيرة والشك والارتياب"¹⁰.

ما سبق ربما يفسر لنا حيرة هذه الشخصيات وتناقضها لأن الأفكار الماركسية لم تستطع أن تمحو أثر التدين في نفوس أصحابها، فيعيش طوال حياته ممزقا بين الفكرين لا يستطيع أحدهما أن يمحو الآخر، وزاد هذا النوع من المبدعين بؤسا وشقاءً عدم نجاح الحركات القومية والفكر الاشتراكي في تقديم بديل حضاري للفكرة الإسلامية، بل أخفقت على كل المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وتوجت هذه النكبات بهزيمة (حزيران يونيه سنة 1967م)، هذه النكبة الكبرى التي أفاق على إثرها المبدعون الشرفاء وعلى رأسهم أمل دنقل - وهذا يحسب في ميزانه الإبداعي والأخلاقي - أفاقوا من الوهم الذي عايشوه فترة طويلة، فهي ليست هزيمة عسكرية للأمة وحسب، ولكنها هزيمة للفكر الاشتراكي، وللزعامة القومية المتمثلة في جمال عبد الناصر الذي تعلقت به آمال الأمة العربية وخاصة الشباب والمبدعين، فخيبت هذه الآمال واتضح جليا في نهاية الأمر أن هذا الفكر البراق ما هو إلا فقاعات غازية لم تلبث أن انفجرت في وجه من علق بها أملا.

الحقيقة إن ثورة يوليو سنة 1952، والفكر الاشتراكي كانا أمل جموع الشعب العربي الكادح، ومنهم (أمل دنقل) الفقير ابن أقاصي الصعيد، ولكنه في وقت مبكر - شديد التبكير - لم يحدع كآخرين بل كان منتبها لأخطائها وخطاياها، ولم يدهن أو ينافق، كان صادقا مع نفسه، ومع ما اعتنق من أفكار ومبادئ، وكان مخلصا لمحبوته الأثيرة التي نذر لها نفسه منذ البداية وحتى آخر رمق في حياته معشوقته "الحرية"، فقد سجل رفضه بعين المبدع الباحث عن أعز ما يملك الإنسان وهو الحرية التي يجب أن يراها المبدع واقعا في حياته، يراها ماثلة أمام عينيه حية في كل شيء حوله، أما الحرية المزعومة التي فتحت أبواب السجون على مصارعها، سخر منها أمل دنقل فيقول في قصيدته "صلاة":

أبانا الذي في المباحث: نحن رعاياك

باقٍ لك الجبروت

وباقٍ لنا الملكوت

وباقٍ لمن تحرسُ الرهبوت

تفردت وحدك باليسر. إن اليمين لفي الحُسر

أَمَا اليَسَاؤُ فِي العُسرِ .. إِلا الذِين يُمَاشُونَ

إِلا الذِين يَعِيشُونَ بِمِشُونَ بِالصَّحْفِ المِشْتَرَاةِ

العِيونَ فِيعِشُونَ . إِلا الذِين يَشُونَ . وَإِلا

الذِين يُوشُونَ يَاقَاتِ قِمصَانِهِم بِرِبَاطِ السَّكُوتِ!

تَعَالَيْتِ مَاذَا يَهَمُّكَ مِمَّنْ يذَمُّكَ؟ اليَوْمَ يَوْمَكَ

يَرُقِي السَّجِينِ إِلى سُدَّةِ العَرْشِ

وَالعَرْشِ يَصْبِحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتِ مَكَانَكَ . قَدْ

يَتَبَدَّلُ رِسمَكَ وَاسْمَكَ . لَكِنْ جَوْهَرَكَ الفِرْدَ

لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتِ وَشَمِّكَ . وَالصَّمْتِ وَشَمِّكَ

وَالصَّمْتِ . حَيْثُ التَّفَتُّ . يَرِينُ وَيَسْمُكُ

وَالصَّمْتِ بَيْنَ خِيطِ يَدَيْكَ المِشْبِكَيْنِ المِصْمَغَيْنِ يَلْفُ

الفِراشَةَ .. وَالعَنكَبُوتِ

أَبَانَا الذِي فِي المِباحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ

وَأَغْنِيَةَ الثُّورَةِ الأَبَدِيَةِ

لَيْسَتْ تَمُوتُ !!¹¹

فَأَمَلُ لَمْ يَدَاهِنِ، وَلَمْ يَبْحَثْ عَنِ شَهْرَةِ أَوْ مَكَاسِبِ مَادِيَةِ، كَانَ شَعْرُهُ صَدَى لِمَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَيَعْتَقِدُهُ، يَبِينُ هَذَا قَوْلَ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ عِبْلَةَ الرُّوِينِي: "يَمَكُنُهُ كَثِيرًا النُّومُ جَائِعًا، بَيْنَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ النُّومُ مَتَنَازِلًا، أَوْ مَسَاوِمًا، أَوْ مِصَالِحًا، وَمَا أَكْثَرَ المِتَنَازِلِينَ العَارِضِينَ أَنفُسَهُمْ فِي أسْوَاقِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، يَنَامُونَ وَبَطُونَهُمْ تَمْتَلِئُ بِالتَّخْمَةِ وَعَقُولُهُم بِالمِهَانَةِ"¹².

اعتمد أمل دنقل على ذاته، وعلى موهبته الشعرية فقط دون غيرها، وربما تكون الموهبة هي السند الأكبر في ذلك، فهي التي مكنته من هذا كله، فهو لا يبحث عن سند خارج ذاته، بعد أن أكسبته الأيام وتجارب حياته قدرًا كبيرًا من انعدام الثقة، أكسبه الاعتماد على ذاته أيضًا ثقة زائدة بالنفس، واعتدادًا بها، فكان دائمًا يسير ولا يلتفت لأحد كعادته، كان رده الوحيد هو كلمته وقصيدته، فقد كان المهم في حياته هو الكتابة، ...، وطريقه الوحيد للنضال يمر من خلال القصيدة ولا شيء سواها¹³.

وهذه هي قضية أمل الكبرى التي عاش من أجلها مناضلاً، وهو يعبر عن هذا المعنى حين يقول:

كنت لا أحمل إلا قلمًا بين ضلوعي

كنت لا أحمل . إلا .. قلبي

في يدي: خمس مرايا

تعكس الضوء (الذي يسري إليها من دمي)

.. طارقًا باب المدينة:

"افتحوا الباب"

فما ردَّ الحرس

"افتحوا الباب ... أنا أطلب ظلاً.."

قيل: "كلا"¹⁴

أكسبه الاعتماد على ذاته . كما قلت . ثقةً زائدة بالنفس، واعتدادًا بها.

كل هذه الأحداث والمواقف التي مر بها الشاعر أثرت تأثيرًا مباشرًا على تركيبته الذهنية والخيالية، وكان لها صدى في قصيدته، كما مر من بعض الأمثلة التي ذكرت، ومن ثم دراسة هذه السيرة وما بها مهم في فهم القصيدة الشعرية والولوج إلى عالم الشاعر الخفي، إذ بدون معرفة هذه الأشياء لا نستطيع تفسير كثير من الرؤى الشعرية والمضامين

الفكرية .

المبحث الثاني: سمة الحزن وإدراك الموت وأثرهما في رؤيته الإبداعية

ثمة مساحة حزن قوية تلمسها في الكثير من أشعار أمل دنقل وشعور قوي بالموت.

ظاهرة الحزن هذه مردها إلى إحساس الشاعر بوطأة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على كاهل الشاعر، ومن ثم على كل مواطن عربي، وإلى الإخفاقات التي منيت بها أمتنا في ذلك الوقت على كل المستويات حتى يمكننا القول إن هذا الجيل هو جيل الهزائم والنكبات بامتياز "لقد كان أمل يؤمن بأنه ينتمي تاريخياً لجيل الهزيمة"¹⁵، إنعكس هذا كله على موضوعاته الشعرية وقصائده ومن ثم على بنائها الفني، بوصفه كلاً متكاملًا، عبر الشاعر عن بعض هذه المعاني في قصائده فيقول:

ربما ردّت الريح - سيدتي - نصف ردّ

ضاع .. وابتلعته الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة في الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب

- وحدها - حطمتها .. وما زال فيها الأسى والندوب ..

نحن جيل الألم

لم نر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم¹⁶

يظهر هذا جلياً في اختياره لعناوين القصائد التي تحفل بالهم والحزن مثل: "الضحك في دقيقة الحداد"، "الحداد يليق بقطر الندى"، "الحزن لا يعرف القراءة"، "لا وقت للبكاء"، "مراثي اليمامة"، "بكائية الليل والظهيرة"، "بكائية ليلية"، "الأرض والجرح الذي يفتح"، "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، "بكائية لصقر قريش".

يأتي في هذا السياق إحساسه بالموت وإدراكه له فقد وردت مفردة الموت بلفظها أو أحد مشتقاتها ومعانيها المختلفة ولفظة الحزن أو ما يدل عليها 354 مرة، على امتداد قصائده، وهذا يبين مدى "التبئير" الذي أضفاه الشاعر على هذه المفردة، ويبين في الوقت ذاته شعوره تجاه الموت.

وعند النظر في عناوين قصائده عبر دواوينه الست نجد أن كلمتي الحزن والموت أو ما يدل عليهما موزعة على الدواوين كالتالي:

النسبة	القصائد التي تحمل عنوان الحزن والموت	عدد قصائد الديوان	الديوان
% 12.5	2	16	مقتل القمر
% 45	9	20	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
% 50	7	14	تعليق على ما حدث
-	-	8	العهد الآتي

أقوال جديدة عن حرب البسوس	6	2	33.3 %
أوراق الغرفة 8	16	5	31.25 %
قصائد متفرقة	7	1	14.28 %

وعند قراءة الجدول السابق نجد أن عناوين القصائد التي اشتملت على ألفاظ الحزن، والموت ليست قليلة وهذا يدل دلالة قاطعة على سيطرة الحزن على كيانه كله، ونلاحظ أيضا أن ديوان "العهد الآتي" خلا من هذه الألفاظ، مما يدل على الأمل الذي يملأ قلب الشاعر عن المستقبل القادم، وتمنيه أن يكون القادم أفضل، ويأحصاء الكلمات التي أتت صريحة بلفظي الموت والحزن أو ما يعبر عنهما تبين أنها وردت ثلاثمائة وأربعة وخمسون (354) مرة، موزعة على الدواوين المختلفة للشاعر كما هو مبين في الجدول التالي:

النسبة	عدد مرات ورود الكلمة	الديوان
12.71 %	45	مقتل القمر
30.2 %	107	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
15.53 %	55	تعليق على ما حدث
14.68 %	52	العهد الآتي
14.2 %	50	أقوال جديدة عن حرب البسوس
9.88 %	35	أوراق الغرفة 8
2.82 %	10	قصائد متفرقة

نلاحظ من الجدول السابق أن أكثر الدواوين التي وردت بها الكلمة هو ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، وهو الديوان الذي كتب بعد نكبة حزيران (يونيه) 1967، وهذا يدل دلالة قاطعة على مدى الحزن والألم الذي يعتمل داخل الشاعر فأراد التنفيس عما به من خلال تكرار هذه الكلمات التي تشي بالحزن والحسرة والألم، ثم يليه ديوان "تعليق على ما حدث"، الذي كتبه الشاعر تعليقا على بعض الأحداث العربية والتمزق الذي يعيشه الشاعر، ثم ديوان "أقوال جديدة عن حرب البسوس"، الذي كتبه ردة فعل لمعاهدة الصلح مع الكيان الصهيوني، وهذا يدل على رفض الشاعر ومن ثم الضمير الجمعي للأمة لهذه المعاهدة، ثم يأتي ديوان "أوراق الغرفة 8"، وورود كلمتي الحزن والموت أقل نسبياً من الدواوين السابقة، وهذا يدل على أن حزن الشاعر وألمه للشأن العام، وللقضايا الوطنية، أكبر وأعظم من حزنه الشخصي، وألمه الذاتي.

تطور إحساس الشاعر بالموت وإدراكه له، وطرق التعبير عنه من خلال مراحل الشعورية، يظهر هذا من خلال اختياره لعناوين قصائده مثل: "الموت في الفراش"، "فقرات من كتاب الموت"، "موت مغنية مشهورة"، "الموت في لوحات"، "ميته عصرية".

في البدايات كانت علاقته بالموت علاقة خوف ففي اعتقاده أن الموت شيء رعب، وغير إنساني هذا يرجع إلى أن الشاعر قد عاش الشكل وهو ما زال طفلاً صغيراً حدث السن، فقد أخته، ثم كان الفقد الأكبر فقد أبيه، في هذه الفترة بينت قصائده هذا التصور تجاه الموت فيقول:

قلبي صغير كفستقة الحزن .. لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه؟

هل اغترف الماء جدول الدمع ..؟

هل لبس الموت ثوب الحداد الذي حاكه .. ورماه؟¹⁷

هذا هو تصور الشاعر تجاه الموت، وهذه هي الصورة الذهنية له في خلد الشاعر، وهي النقمة والحنق، وظلم الموت وبشاعته للناس والألم الذي يتركه في النفوس ربما. في ظن الشاعر. أنه لم يجرب الشكل بمعنى أن الموت لم يجرب أثره على نفسه، حتى يتبين الأثر الأليم الذي يتركه في النفوس.

ويؤكد هذا الشعور تجاه الموت قوله في موضع آخر:

صرخَ الطفل في صدر أمي

(وأمي محلولة الشعر واقفة في ملابسها المنزلية)

- احرصوا

واختبأنا وراء الجدار

- احرصوا

وتسلل في الحلق خيطاً من الدم

كان أبي يمسك الجرح ..

يمسك قامته .. ومهابته العائلية !

- يا أبي

- احرصوا

وتواريت في ثوب أمي .. والطفل في صدرها ما نبس

ومضوا بأبي

تاركين لنا اليتيم متشنجاً بالخرس¹⁸

ثم يقول في فقرة أخرى من القصيدة ذاتها مؤكداً تلك النظرة إلى الموت وأثره في النفوس، وخاصة نفوس الأطفال

الصغار، وهؤلاء وقع الموت عليهم ثقيلاً، يتركهم يسبحون في بحر الحياة العميق، دون مساعد أو معين وخاصة فقد الأم، فله وقع خاص على الأطفال الصغار، فيقول:

أمي وعاد لي الصوتُ

أمي وجاوبني الموتُ

أمي وعانقتها وبكيثُ

وغام بي الدمع حتى احتبس؟¹⁹

وفي بعض مشاهدته الشعرية يرى أن الموت موجود في كل ما حوله، يراه صباح مساء، يراه في كل وقت، يقول:

الدم قبلَ النوم

نلبسه .. رداءً

والدم صار ماءً

يراق كل يومٍ

... ..

الدم في الوسائدُ

بلونه الداكنُ²⁰

ويؤكد هذه الحالة الذهنية المسيطرة على الشاعر من كونه يرى الموت في كل شيء، يشعر به شعوراً قوياً ويتماهی معه أشد التماهي وهذا يعكس حالة اليأس من تغيير هذا الواقع المرير الذي صار الدم فيه أرخص شيء فيقول:

كلَّ صباحٍ

أفتح الصنبورَ في إرهابٍ

مغتسلاً في مائه الرقاق

فيسقط الماء على يدي .. دَمًا!

وعندما ..

أجلس للطعام .. مرعماً:

أبصر في دوائر الأطباق

جماجماً ..

جماجا ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!²¹

وكان الموت يطغى على كل الموجودات حول الشاعر بكل مفرداته، حتى في الماء السائل من الصنبور وفي الأطباق التي أعدت للطعام.

ثم مرّت على الشاعر مرحلة مفصلية في تاريخه الإنساني والإبداعي، وهي إصابته بمرض "السرطان"، لذا تطورت نظرتة للموت في استبشاعه والخوف منه إلى حالة من التسليم المطلق به، تجلّى هذا بمعظم قصائد ديوان "الغرفة رقم 8"، وهذا أمر بدهي لأن الديوان كتب على سرير المرض، وسط هذا الجو وهذه الحالة النفسية التي اعترته إثر رقدته، وأصبح يتمنى الموت، لأن شخصية مثل أمل دنقل الشاعر المتمرد، المعتز بنفسه إلى أبعد مدى يكره أن يرى الشفقة في عيون زائريه، هذا بالإضافة إلى أنه كان فقيراً لا يمتلك الأموال الكافية لكي ينفق على هذا المرض العضال، كل هذا جعله يستعجل ساعته فيقول معبراً عن ذلك:

عَمَ صباحًا أيها الصقر المجنح

عَمَ صباحًا

سنة تمضي .. وأخرى سوف تأتي

فمتى يقبل موتي ..

قبل أن أصبح . مثل الصقر .

صقراً مستباحاً؟!²²

ويعبر عن اشتهاؤه للموت أيضاً بقوله:

فالجنوبي يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه

يشتهي أن يلاقي اثنتين:

الحقيقة . والأوجه الغائبة²³

قصائد الديوان غاصّة بذكر الموت على كل صوره حتى إن الشعور بالموت، والاستسلام له وتقبله في أية لحظة تحول لديه إلى حالة رومانسية أصبح يتعاطف مع كل من يموت حتى ولو كان نباتاً مثل قصيدة "زهور" التي تماهي إحساسه بالموت مع إحساس الزهور المهداة له من قبل الزائرين وهي حالة رومانسية مما يشي أن إحساس الخوف والرغبة من الموت قد زال.

وقد قامت قصائد كاملة على رمزية الموت، مثل قصيدة "العبء النهائية" فهو . أي: الموت . يجلس في الميادين يطلق نبلته بالحصى فيصيب بها من يصيب، وي طرح في ساعة المد سنارة الصيد ثم يعود ليكتب أسماء من علقوا في أحابله القاتلة وهم الأموات.

يقول:

في الميادين يجلس

يطلق . كالطفل . نبلته بالحصى ..

فيصيب بها من يُصيب من السابله !

يتوجّه للبحر ..

في ساعة المدّ:

يطرح في الماء سنارة الصيد ..

ثم يعود ...

ليكتب أسماء من علقوا في أحابله القاتله

لا يحب البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتأكل

يصنع تاجًا:

جواهره .. الثمر المتعفن

إكليله .. الورق المتغضن

يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية

الذابله !

يتحول: أفعى .. ونايا

...

يغرس الناب في موضع القلب

تسقط رأس الفتى في الغطاء ..²⁴

لا يخفى أنه هنا في بعض الفقرات التي اقتطعت من القصيدة يتحدث عن الموت في صورة رمزية تقوم عليها القصيدة
بأكملها.

ثم يأتي في نهاية القصيدة ويبين أنه مستسلم لهذا المصير المحتوم.

يقول:

أمس: فاجأته بجوار سريري

ممسكا . بيد . كوب ماء

ويد . بحبوب الدواء

فتناولتها .. !

كان مبتسماً

وأنا كنت مستسلماً

لمصري !!²⁵

يظهر كيف أن الحزن، والموت قد أثرا في بناء القصيدة لدى أمل دنقل، انعكسا على الفكر والرؤية الشعرية في القصيدة، وكانا أيقونتين اعتمد الشاعر في الكثير من قصائده عليهما، مستغلاً ظلالهما الإيحائية وما يضيفاه على مضمون القصيدة، ومن ثم ما يخلق داخل الشاعر من أحاسيس ومشاعر تجاههما ومن ثم تجاه العالم من حوله. هذه بعض الأشياء اقتطفتها من سيرته الذاتية ارتأيت أنها أثرت في مسيرته الشعرية، ولها علاقة مباشرة بالفن الشعري لديه، ومن ثم بناء القصيدة عنده.

النتائج:

يجمل بنا في نهاية المطاف أن نستخلص مجموعة النتائج المهمة منها ما يلي :

1. المبدع ابن بيئته بكل ما تحوي هذه البيئة من أحداث وعادات وتقاليده وعقائده، وكل بيئة تختلف عن غيرها من البيئات من هذه الناحية، ومن ثم فهي التي تشكل ذهنية المبدع وعلى إثر هذا يختزن اللاوعي بالآلاف الأحداث والمواقف التي تمر بالمبدع التي بدورها تشكل الخيال الذي ينتج الصورة الشعرية كما ينتج النحل

العسل الذي امتاحه من مختلف الأزهار والورود، لأن الخيال يلتقط جزئيات الصورة من واقع المبدع المعيش هذا في الغالب الأعم .

2. اتضح أن نشأة "أمل دنقل" وما تعرض له من مواقف وأحداث حياتية قد أثمر تأثيراً مباشراً في تكوينه الشخصي، فكان شديد الكبرياء، معتزاً بنفسه إلى حد كبير، اعتمد على نفسه وعلى موهبته الشعرية فقط، عاش فقيراً لا يسعى إلى جمع المال، ولم تغره المناصب.

3. لازمته نبرة حزن قوية، ووضح عليه التناقض في تركيب شخصيته ومن ثم الحيرة والاضطراب والقلق الذي انتابه طوال حياته، كان شجاعاً لا يهرب أحداً، وكان كريماً، نتيجة لهذا كله ظهر في شعره بعض الظواهر مثل الصعلكة، وقد أثرت هذه الظاهرة في مضامينه الفكرية ورؤاه الشعرية ومن ثم على بنية قصيدته فتحدث عن الفقراء والمهمشين، ودافع عن الحرية، ولازمته نبرة حزن قوية، وإحساس قوي بالموت الذي اختلفت نظرتة إليه خلال مراحل الإبداعية المختلفة من كونه شيئاً مخيفاً ثقيلاً على النفس إلى كونه سبيلاً إلى الخلاص من مرضه العضال، ومن ثم التخلص من نظرات الشفقة في عيون من حوله .

4. كان في نهاية الأمر صوتاً شعرياً مخلصاً لقصيدته، ومؤمناً بقيمه الأخلاقية والفنية عاش لها وناضل من أجلها، ومات عليها.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم روماني
2. أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، ط1، 1985م
3. أمل دنقل
4. الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2012م
5. أنس دنقل
6. أحاديث أمل دنقل، مطبعة نيولوك، القاهرة، ط2، 1992م

7. شريفة عثمان عباس
8. أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل، مخطوط، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان،
2009م
9. عبلة الرويني
10. الجنوبي، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992م
11. عز الدين إسماعيل
12. الشعر العربي المعاصر. قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3
13. علي رحمان
14. الرقص والتجاوز في شعر أمل دنقل، ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،
2003م

مقالات:

15. خيري حسن
16. وميض تغتاله العتمة، مقال على شبكة الانترنت، 8-12-2015

- 1- عبلة الرويني، الجنوبي، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992م، 55، وانظر أيضا:
شريفة عثمان عباس، أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، فبراير سنة 2009،
9.
- أنس دنقل، أحاديث أمل دنقل، مطبعة نيولوك، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992، 52.
- 2 - إبراهيم روماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، الطبعة الأولى، 1985، 26.
- 3 - عبلة الرويني، الجنوبي، 55.
- 4- المصدر السابق، 56.
- 5- خيري حسن، وميض تغتاله العتمة، مقال على شبكة الانترنت 8-12-2015.
- 6- عبلة الرويني، الجنوبي، 15.
- 7- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 350.
- 8- عبلة الرويني، الجنوبي، 114.

- 9- عبلة الرويني، الجنوي، 9.
- 10- المصدر السابق نفسه.
- 11- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان "العهد الآتي"، قصيدة "صلاة"، دار الشروق، القاهرة، طبعة 2 سنة 2012م، 261:262.
- 12- عبلة الرويني، الجنوي، 78.
- 13- المصدر السابق، 48.
- 14- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "تعليق على ما حدث"، قصيدة "حكاية المدينة الفضية"، 227.
- 15- على رحمان، الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل، 32.
- 16- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أوراق الغرفة 8"، قصيدة "قالت امرأة في المدينة"، 410.
- 17- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أقوال جديدة عن حرب البسوس"، قصيدة "مراثي اليمامة"، 350:351.
- 18- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "العهد الآتي"، قصيدة "من أوراق" أبو نواس"، 313.
- 19- المصدر السابق، 350، 351.
- 20- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "العهد الآتي"، قصيدة "من أوراق" أبو نواس"، 248.
- 21- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "العهد الآتي"، قصيدة "من أوراق" أبو نواس"، 185:186.
- 22- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أوراق الغرفة 8"، قصيدة: "بكائية صقر قريش"، 407:408.
- 23- المصدر السابق، قصيدة: "الجنوي"، 372.
- 24- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أوراق الغرفة 8"، قصيدة: "العبء النهائية"، 380:381.
- 25- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أوراق الغرفة 8"، قصيدة: "العبء النهائية"، 382.